مقدمة

بالرغم من أن المسلمين على اختلاف مذاهبهم يجتمعون فى الزمان والمكان أنفسهما فى موسم حج بيت الله الحرام، ويؤدون المناسك نفسها؛ إنفاذاً للفريضة الإلهية واتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذى خطب قائلاً فى حجة الوداع: **«إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا»** رواه مسلم، ورغم اشتراك الدول الإسلامية على تنوع مذاهبها فى منظمة المؤتمر الإسلامى وما يعنيه هذا من اعتراف متبادل والتقاء حول السياسة والمصالح بين أبناء الأمة الواحدة رغم تنوعها المذهبى، إلا أن التعارف بين هؤلاء يبقى قاصراً عن تلبية ضرورات أخوة العقيدة، كما أمر رب العزة جل وعلا ﴿ **إِنَمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾[الحجرات: ١٠].

الأسباب التى أدت إلى غياب المعرفة المتبادلة، التى قادت إلى أن يتبنى البعض مجموعة من التصورات الخاطئة عن الآخر المسلم، كثيرة ومتنوعة، وقد ورثها المسلمون عن عصور التخلف والانحطاط الحضارى التى يتفق الجميع على ضرورة التخلص منها والانطلاق نحو النور والتقدم.

لم يعد مقبولاً فى عصر الانفجار المعرفى والسماوات المفتوحة أن تبقى هذه الحالة مخالفة لأمر الله سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾** ﴾ [الحجرات: ١٣].

التعارف المشار إليه فى الآية الكريمة يعنى التعرف على الأفكار والمعتقدات التى تؤمن بها هذه الشعوب على وجهها الصحيح ومن مصادرها الأصلية، فما بالك إذا كانت كل هذه الشعوب تنتمى إلى دين واحد هو الإسلام، وتعبد إلهًا واحدًا هو الله الواحد الأحد، ولها كتاب واحد هو القرآن، ورسول واحد هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

التعارف بين أبناء المذاهب الإسلامية المختلفة يحتاج إلى تحرى الدقة والموضوعية والإنصاف، وهو ما نفتقده فى الكثير ممن يتصدرون لهذا الشأن والذين ينقلون كل ما يصل إلى أسماعهم، ومن بينها تلك الخرافة الشهيرة التى تلوكها بعض الألسن عن الشيعة، خرافة الوحى الذى أخطأ طريقه من على بن أبى طالب إلى محمد بن عبد الله ﷺ، بينما يعرف القاصى والدانى أن الشيعة يعاتبون على (إفراطهم) فى الحب والولاء (لآل محمد) أى أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عندهم هو الأصل وهو واسطة كل خير ساقه الله إلى بنى الإنسان ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨)**﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولذا فنحن نتمنى على كل مسلم أن يتحرى الحقيقة بنفسه بدلاً من أن يكتفى بما يسمعه من الآخرين، كما نتمنى على كل المشتغلين بعلوم الدين أن يتقوا الله فى دينهم وإخوانهم من المسلمين، فإن الكلمة التى يطلقها أى منهم هى شهادة يشهد بها أمام الله ﴿**سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف: ١٩].

الصراع بين أبناء المذاهب؟؟!!

يروى ابن أبى الحديد[1] عن الخصومة بين الشافعية والأحناف وقت الغزو التترى للعالم الإسلامى فيقول:

> ولم يبق للتتار إلا أصفهان حيث نزلوا عليها مراراً سنة ٦٣٣هـ، فحاربهم أهلها وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة ولم يبلغوا منها غرضًا، حتى اختلف أهل أصفهان على طائفتين حنفية وشافعية وبينهم حروب متواصلة، فخرج قوم من الشافعية إلى من يجاورهم من ملوك التتار فقالوا لهم: اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم، فأرسل إليهم جيوشًا ـ والصراع على أشده بين الأحناف والشوافع ـ وفتح الشافعية أبواب المدينة على عهد بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية ويعفوا عن الشافعية ـ فلما دخلوا المدينة بدءوا بالشافعية فقتلوهم قتلا ذريعًا ولم يقفوا مع العهد الذى عاهدوه، ثم قتلوا الحنفية، ثم قتلوا سائر الناس وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى ونهبوا الأموال وصادروا الأغنياء، ثم أضرموا النار فى أصفهان حتى صارت تلاّ من الرماد.

(١) شرح نهج البلاغة.

(وفى سنة ٥٨٠ هـ) جرت بمصر فتنة بين الأشاعرة والحنابلة بسبب إنكار الحنابلة على الشهاب الطوسى تكلمه فى مسألة من مسائل الكلام فى مجلس وعظه وترافعوا إلى الملك المظفر بمخيمه، فرسم برفع كراسى وعظ الفريقين وقد أطلق كل من الفريقين لسانه فى الآخر[1]!! .

***

كما كانت صلاة أتباع المذهب الشافعى خلف أتباع المذهب الحنفى مسألة خلافية حتى جاء الشيخ محمد عبده رحمه الله وأفتى بجواز ذلك!!! .

جهود التقريب

قام العديد من العلماء الأجلاء من السنة والشيعة ببذل الجهود من أجل التعريف المتبادل والتقريب بين المذاهب، ولا نعتقد أن جهدهم قد ضاع سدى وما زال المجال مفتوحًا لبذل المزيد من أجل الوصول لتحقيق هذا الهدف النبيل.

من بين هذه الجهود، ذلك المؤتمر الذى عقد قبل عامين ونصف تقريبًا (سبتمبر ٢٠٠٣م) فى البحرين تحت عنوان «التقريب بين المذاهب الإسلامية وأثره فى تحقيق وحدة الأمة»، وقد حضره ما يربو على ١٠٠ مفكر وعالم دين من مختلف المؤسسات الإسلامية، ومنها الأزهر الشريف فى مصر ومؤسسة آل البيت فى الأردن ومجمع التقريب بين المذاهب فى إيران. وأكد شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى أن المؤتمر ينعقد فى زمن تنتشر فيه الفتن، وهو ما يستدعى تجمع العلماء لقول كلمة الحق وبيان ما يتوجب على الناس نحو خالقهم ودينهم وأمتهم، وقال: إننا نعيش عصرًا تكالب فيه أعداء الإسلام على أمتنا مما يستدعى الرجوع للشريعة الإسلامية التى رسخت العقيدة السليمة فى النفوس، من خلال تأكيد الرسول ﷺ على معنى الإسلام والإيمان فى أحاديث متعددة، وتشديده على مبدأ الإخاء الخالص لوجه الله بين أبناء الأمة الإسلامية وتعاونهم على البر والتقوى.

كما لا يفوتنا التنويه بآخر تلك الجهود المبذولة للتقريب، وهى الجلسة التى عقدت فى منزل القائم بالأعمال الإيرانى بالقاهرة يوم الأربعاء ٨ فبراير عام ٢٠٠٦م، والتى

(١) السلوك فى معرفة آداب الملوك للمقريزى.

كان لكاتب هذه السطور شرف حضورها مع كل من شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى وآية الله التسخيرى ومفتى مصر الدكتور على جمعة ورئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد الطيب، حيث أكد الجميع على ضرورة وضع جسور لإحياء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية فى القاهرة، والتى توقفت ـ للأسف الشديد ـ فى نهايات القرن الماضى.

وقد تحدث آية الله التسخيرى عن عمق العلاقات بين الشعبين المصرى والإيرانى وأصالتها، ثم أفصح عن رغبته فى أن تبرز هذه العلاقات مرة أخرى عن طريق إحياء دار التقريب فى القاهرة، كما تحدث عن مخاطر الفرقة التى مزقت الأواصر طوال العصور الماضية، وانتهزها الأعداء حتى الوقت الحاضر اتباعًا لسياسة (فرق تسد)، كما أعرب عن استيائه من التمزق الذى يعيشه العالم الإسلامى، ودعا إلى وحدة المسلمين التى ستعود على الجميع بالخير. كما أكد آية الله التسخيرى على ضرورة أن يعم الحوار بين المسلمين سنة وشيعة ليفهم كل منهم الآخر، ليكون ذلك سبيلاً للوحدة الإسلامية المنشودة، ثم تحدث شيخ الأزهر الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى عن أنه لا فارق بين المسلم الشيعى والمسلم السنى، فالجميع من المسلمين والجميع يقولون إنه لا إله إلا الله ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلا، ثم استدعى ذكرى استشهاد الحسين رضي الله عنه وأكد أن حب آل البيت جزء من عقيدة المسلم، لا يجوز التفريط فيها، ثم تحدث فضيلة المفتى د. على جمعة وذكر رواد التقريب بين المذاهب الأوائل، الشيخ القمى والشيخ شلتوت والشيخ عبد العزيز عيسى وغيرهم، وذكر أنهم بدءوا خطوات مهمة لتحقيق التفاهم بين المسلمين ولا بد أن يكتمل هذا الطريق، ثم تحدث د. أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف وأكد أن الأزهر الشريف عليه دور فى التقريب، فما زال منذ الستينيات يدرس فقه الشيعة الإمامية، ودعا إلى عقد اجتماع أو لقاء مصغر تطرح فيه كافة قضايا التقريب، وعلى رأسها العقبات التى تقف فى سبيل التقريب، حتى يمكن مناقشتها بصراحة، وأبدى استعداده الكامل للجلوس مع إخوانه من الشيعة لإبداء ما يراه مهمّا، كما أكد على وضع جميع إمكاناته وإمكانات الأزهر الشريف فى خدمة تلك القضية. أما د. محمد الدسوقى فأكد على ضرورة تحويل الشعارات والرغبات إلى موضوع عمل وتنفيذ على أرض الواقع، وذكر أن منظمة الإيسيسكو، قد وضعت إستراتيجية وخطوات تنفيذية من أجل إنجاز مشروع التقريب، ثم ذكر أنه يجب أن

يلتقى المسلمون (شيعة وسنة) حول مبدأ التعاون حول ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت رحمه الله

ولا يفوتنا أن ننوه بالجهد الكبير الذى بذله شيخ الأزهر الراحل الشيخ محمود شلتوت، حيث يذكر الدكتور عبد الودود شلبى[1] الذى عمل مديرًا لمكتبه ما يلى:

منذ أربعين عاما وقع فى يدى كتاب (الخطوط العريضة)، فهالنى ما بين صفحاته، فما يقوله عن الشيعة خطير، فليس من المعقول ولا من المقبول أن يكونوا أصحاب دين غير دين المسلمين أو أن يكون موقفهم من أهل السنة هذا الموقف العدائى الكبير! لم يطاوعنى قلبى فى تصديق ما كتب، وظللت مترددًا بين التصديق والتكذيب حتى استقرت سفينتى فى النهاية على شاطئ الحق، ففى عام ١٣٨٢ هـ انتدبت للعمل سكرتيرًا فنيًا فى مكتب الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، وكان من مهام وظائفى فى مكتب الإمام الراحل أن أرد على رسائله وأن أعرض عليه رسائل المسلمين التى تصل إليه كل يوم من كل ناحية، وقد فوجئت برسائل الحب والمودة التى كانت تصل إليه من أئمة الشيعة، كما فوجئت بردوده على رسائل هؤلاء الأئمة واعتزازه بهم كإخوة فى الإيمان والعقيدة، ثم فوجئت بعد ذلك باختياره لبعض هؤلاء الأئمة أعضاء فى مجمع البحوث الإسلامية!!.

سألته يومًا: هل قرأت يا مولانا ما كتبه صاحب كتاب (الخطوط العريضة) عن الشيعة؟؟

ابتسم الشيخ و لم يتكلم!!

وحين أعدت عليه السؤال، أخرج من مكتبه ورقة ثم قال ستجد فى هذه الورقة إجابتى على هذا السؤال!!.

(١) كلنا إخوة شيعة وسنة.

كانت هذه الورقة صورة من الفتوى التى أصدرها بجواز التعبد على مذهب الشيعة الإمامية، ونص الفتوى كما جاء فى أقوال الإمام الأكبر:

فتوى شيخ الأزهر محمود شلتوت

١- إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل نقول إن لكل مسلم الحق فى أن يقلد ـ بادئ ذى بدء ـ أى مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحًا والمدونة أحكامها فى كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهبًا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره من أى مذهب كان ولا حرج عليه فى شىء من ذلك.

٢- إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعًا كسائر مذاهب أهل السنة.

***

الأهمية الكبرى لهذه الفتوى أنها شكلت تحولاً رئيسيًا فى مسار القضية المذهبية، وخاصة فى مصر التى عاشت منذ بدء العصر الأيوبى فى إطار التقليد الفقهى للمذاهب الأربعة، وأصبح كل فريق مذهبى يعض بنواجذه على ما لديه، وربما وصل الأمر للاقتتال بين أبناء تلك المذاهب.

وقد أعطى الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر لدعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية دفعة كبيرة، فقد كان من أشد المتحمسين لها، وفى ذلك يقول رحمه الله:

إن دعوة التقريب هى دعوة التوحيد والوحدة، هى دعوة الإسلام والسلام.. لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم وأسهمت منذ أول يوم فى جماعتها وفى وجوه نشاط دارها بأمور كثيرة.. ثم تهيأ لى بعد ذلك، وقد عهد إلىّ بمنصب مشيخة الأزهر، أن أصدرت فتواى فى جواز التعبد على المذاهب الإسلامية الثابتة الأصول المعروفة المصادر المتبعة لسبيل المؤمنين، ومنها مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وقرّت بهذه الفتوى عيون المؤمنين المخلصين الذين لا هدف لهم إلا الحق والألفة ومصلحة الأمة، وظلت تتوارد علىّ الأسئلة والمشاورات والمجادلات فى شأنها وأنا مؤمن بصحتها، ثابت على فكرتها، أؤيدها فى الحين بعد الحين فيما أبعث به من

رسائل للمستوضحين، أو أردّ به على شُبَه المعترضين، وفيما أنشئ من مقال ينشر أو حديث يذاع أو بيان أدعو به إلى الوحدة والتماسك والالتفاف حول أصول الإسلام ونسيان الضغائن والأحقاد حتى أصبحت ـ والحمد للّه ـ حقيقة مقررة تجرى بين المسلمين.

رأى الشيخ الغزالى رحمه الله

يقول الشيخ محمد الغزالى[1]:

من الخلافات الموروثة، ما بين الشيعة والسنة من فجوات، ملأتها الدماء فى بعض الأعصار وزادها البهت والافتراء بين الحين والحين، وما أنكر أن أسبابًا علمية وعاطفية تخفى أو تظهر وراء هذا الخلاف، بيد أن للسياسة ومطالب الحكم أسبابًا أضرى وأنمى.. وقد تحدثت فى كتب أخرى عن حقيقة ما بين الفريقين من الناحية العلمية ولا مجال هنا لتفصيل أو زيادة، وأعترف بأن لى أصدقاء من الشيعة أعزهم وأحبهم.

ومن أجل ذلك أعرض هذه المبادئ لدفع الأمور إلى طريق التصالح والإخاء:

أ ـ يتفق الفريقان فى مؤتمر جامع على أن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام المصون الخالد والمصدر الأول للتشريع، وأن الله حفظه من الزيادة والنقصان وكل أنواع التحريف، وأن ما يتلى الآن هو ما كان يتلوه النبى ﷺ على أصحابه، وأنه ليس هناك فى تاريخ الإسلام كله غير هذا المصحف الشريف.

ب ـ السنة هى المصدر الثانى بعد القرآن الكريم، والرسول أسوة حسنة لأتباعه إلى يوم القيامة، والاختلاف فى ثبوت سنة ما أو عدم ثبوتها مسألة فرعية.

ج ـ ما وقع من خلاف بين القرن الأول يدرس فى إطار البحث العلمى والعبرة التاريخية، ولا يسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم.

---

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٠٩.

د ـ يواجه المسلمون جميعًا مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة، وهى كثيرة جدّا وعلى مرونة وتسامح فى شتى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

رأى الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف المصرى

يرى الدكتور زقزوق[1]:

أن الاختلاف بين السنة والشيعة محصور فى إطار الأمور الفرعية القابلة للاجتهاد المشروع، ولا يجوز لمثل هذا الاختلاف أن تكون له آثار سلبية تتسرب إلى قلوب المسلمين فتفسد تآلفها وتزرع فيها التناحر والتخاصم، وإلا أصبح الاختلاف شرّا. وهذا ما حذر منه النبى ﷺ حين قال: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**» ومن هنا ينبغى على المسلمين أن يجتمعوا على ما اتفقوا عليه، وأن يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه. وإذا كان اختلاف وجهات النظر فى الأمور الفرعية أمرًا جائزًا فى إطار «مبدأ الاجتهاد» الإسلامى المشروع، فليس هناك مبرر على الإطلاق لأن تكون هذه الاختلافات الفرعية عقبة فى طريق تحقيق وحدة الأمة الإسلامية، فقد أمرنا أن نعتصم بحبل اللّه المتين ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ونهينا عن أن نبدد جهودنا وطاقاتنا؛ لأن هذا لن يخدم المسلمين ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد جاهد فى سبيل قضية التقريب بين السنة والشيعة العديد من كبار علماء المسلمين فى القرن الحالى، وبذلوا جهودًا عظيمة مشكورة، ومن بين هؤلاء الأعلام المصلح الكبير محمد على علوبة باشا والإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى والإمام الشيخ مصطفى عبد الرازق، وقد كان لهذين الإمامين دور التشجيع المعنوى والتأييد العلمى، أما الإمام الشيخ عبد المجيد سليم فقد أسهم بكل طاقاته المادية والروحية فى إنشاء جماعة التقريب، ودعا إلى تأييدها بقلمه ولسانه، وأسهم معه فى هذه الدعوة لفيف من كبار علماء الأزهر يتقدمهم بالذكر الإمام الشيخ محمود شلتوت والشيخ على

(١) مجلة رسالة التقريب ـ العدد الثلاثون.

الخفيف والشيخ عبد العزيز عيسى، ومن بين من أسهم من جانب الشيعة الإمامية إسهامًا بارزًا فى هذا الصدد الشيخ محمد تقى القمى والإمام الأكبر الحاج آقا حسين البروجردى، والإمامان الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والسيد شرف الدين الموسوى، وكلهم من كبار علماء الشيعة. وقد قامت جماعة التقريب بإصدار مجلتها المعروفة وهى «رسالة الإسلام»، واستمرت فى الصدور فترة من الزمن ثم توقفت، كما توقف ـ للأسف الشديد ـ نشاط الجماعة ذاتها.

فالفتوى الشجاعة التى أطلقها الشيخ محمود شلتوت لم تكن تهدف إلى الاعتراف بالمذهب الجعفرى فحسب، وإنما إلى القضاء على العصبية المذهبية أيّا كان لونها، فالمذاهب هى مدارس علمية وليست معسكرات دينية متحاربة.

***

حقيقة الإسلام والإيمان

يقول الله تبارك وتعالى فى محكم كتابه ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)**﴾[البقرة: ١٧٧].

ويقول تبارك وتعالى ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)**﴾ [البقرة: ٢٨٥].

العقيدة الإسلامية صافية رائقة بسيطة (الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) من دون حاجة لتعمق فى الفلسفة أو اللغة . . يلى ذلك الإيمان مباشرة أداء الفرائض من صلاة وزكاة ورعاية للفقراء والمساكين وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع، وإقامة العدل ومكارم الأخلاق، والوفاء بالعهد المبرم مع المسلمين وغير المسلمين.

السنة النبوية

جاءت السنة النبوية المشرفة هى الأخرى لتقطع الطريق على كل من تسول له نفسه إطلاق أحكام الكفر على أى ممن أعلن إسلامه :

روى مسلم فى صحيحه أن رجلاً سأل النبى ﷺ من هو المسلم؟ فأجاب **«من صلى إلى قبلتنا وذبح ذبيحتنا فهو المسلم الذى له ذمة الله ورسوله»** .

وروى مسلم عن أبى أيوب أن أعرابيّا عرض لرسول الله ﷺ وهو فى سفر، أخذ بزمام ناقته ثم قال يا رسول الله، أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار. قال فكف النبى ﷺ ثم نظر فى أصحابه، ثم قال « **لقد وفق، أو لقد هدى**» قال «**كيف قلت ؟**» قال فأعاد. فقال النبى ﷺ «تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم» .

وروى أيضًا عن جابر؛ قال أتى النبى ﷺ النعمان بن قوقل فقال يا رسول الله، أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال، أأدخل الجنة؟ فقال النبى ﷺ **«نعم»** .

وعن أبى هريرة؛ قال **كان رسول الله** ﷺ **يومًا بارزًا للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن باليوم الآخر» قال يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» . قال يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** .

روى **الترمذى** فى سننه، قال رسول الله ﷺ **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»** .

وروى أيضًا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ **«قتال المسلم أخاه كفر وسبابه فسوق»** .

وروى عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال «**أيما رجل قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما»** .

وعن النبى ﷺ قال: «**لاعن (من يلعن) المؤمن كقاتله، ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقاتله، ومن قتل نفسه بشىء عذبه الله بما قتل به نفسه يوم القيامة**».

وروى **النسائى** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ «**والذى نفسى بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا**».

الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، حرصًا منه على سد باب التكفير، يحذر الأمة الإسلامية من إطلاق هذا الوصف الخطير على أحد من أهل القبلة من دون بينة ولا برهان، فيقول، والرواية لمسلم «**إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**» ثم يزيد الأمور إيضاحًا فيقول «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»، ولأن إطلاق أحكام التكفير قد يقود إلى ما هو أسوأ وهو سفك الدماء التى حرمها الله إلا بالحق، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله «**لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم أعناق بعض**».

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» أخرجه مسلم فى صحيحه.

إنها وصايا نبوية نحن أحوج ما نكون إليها ما بقى المسلمون على ظهر هذه الأرض إلى قيام الساعة.

التأكيد على وحدة الأمة فريضة إلهية

يقول تعالى فى محكم كتابه:

١- ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٠٣)**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢- ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)**﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

٣-﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ(١٤)** ﴾ [الشورى : ١٣-١٤].

إنها أوامر واضحة محكمة تدعو للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، كما أنها تنهى عن النزاع والشقاق بين المسلمين، لكونه الطريق الأقصر للفشل والضياع، وهى أيضًا تدعو إلى إقامة الدين وعدم التفرق فيه والاجتماع على كلمة الله، وتبين لنا أن الفرقة والنزاع لا يمكن أن تكون قدرًا إلهيًا لا فكاك منه، بل هو ثمرة سلوك بشرى خرج بالتدين عن مساره الصحيح (بغيًا بينهم).

تلك مقدمة ضرورية نطرحها فى بحثنا حول تعريف الشيعة، فنحن لا نرى من السهولة بمكان جمع المسلمين على فهم واحد لكل أمور الدين وقضاياه، ولكننا نرى فرضية جمع كلمتهم ونبذ أسباب الفرقة والخلاف والتعامل مع القضايا الخلافية بروح الأخوة ونبذ الأحقاد من خلال الالتزام بأحكام الدين التى أشرنا إليها آنفًا، فشروط الإسلام واضحة وبسيطة، وإذا لم يتمكن المسلمون من جمع كلمتهم على فهم موحد لتلك القضايا الخلافية، فلا أقل من أن يلتزموا بأدب الحوار ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣] ـ ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)**﴾ [النحل: ١٢٥] ـ ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢)**﴾ [الغاشية : ٢١ ـ ٢٢] وهذا هو منهج الإسلام.

***